

في

إحياء عبادة علام الغيوب

تأليف

الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام)

٧٤٦ـ ٨٤٠هـ

تحقيق

عبدالله بن حمود العزي




حياة القلوب
في
إحياء عبادة علام الغيوب

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

تم الصف بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث- صعدة

وتم الإخراج بمركز النهاري للطباعة – صنعاء – الدائري الغربي

(ت ٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: عبد الرحيم عمر حسين الزيلعي



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء – الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org



حياة القلوب

في

إحياء عبادة علام الغيوب

تأليف

الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام)
٧٤٦ـــ ٨٤٠هـ

تحقيق

عبدالله بن حمود العزي



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد...

فإن البشرية اليوم اقتصرت على الاهتمام بالجسم ووفرت له ما يحتاجه من الأغذية، والأطعمة المختلفة وبنت له المستشفيات ومصانع اللباس ووسائل النقل المختلفة، كما اقتصرت على الاهتمام بالعقل فبنت له المدارس، والجامعات، والمؤسسات، ووفرت له وسائل الإعلام والنشر، والصحف، والمجلات،

وأهملت جانباً مهماً في حياة الإنسان، جانباً من أهم الجوانب، إنه الجانب الروحي، الجانب الإيماني، الجانب النفسي، الذي بشر الله من اهتم به بالفلاح، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس: ٧ - ١٠).

إن تطهير الإنسان وتزكيته هو الهدف الأسمى الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة: ٢).

ولا يعني هذا أن لا نهتم بالجانب الجسمي والجانب العقلي، بل الإسلام حث على الاهتمام بهما مع اهتمام أكبر بالجانب الروحي، فالإسلام هو دين ودولة، وسعادة دنيوية وأخروية.

أقسام النفوس

إن النفوس البشرية تختلف، فهناك النفس الأمارة بالسوء، وهناك النفس اللوامة، وهناك النفس المطمئنة وهذه أنجحها، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

هذه النفس المبشرة بالجنة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بالإيمان الصادق المرتبط بالمولى جل وعلا، المحفوف بالخوف منه، والخشية له وحده سبحانه، إن هذه النفس أطاعت الله فأحبها، وروّضت نفسها على الإيمان فطمئنها، وخافت ربها وخشعت له فأمّنها، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١ - ٨٢].

وإذا أردنا التحليق في سماء الرحمة واللحوق بركب تلك النفوس المطمئنة.

إذا أردنا ضبط أفكارنا القلقة، وتخليص نفوسنا الأمارة بالسوء من كابوس الهموم والغموم.

إذا أردنا الحياة السعيدة المطمئنة فما علينا إلا الرجوع إلى الله تعالى، وإلى مزاحمة أولياءه بالاقتداء بهم، ومشاورتهم فيما يقلقنا، ويسبب لنا الاضطراب والتوتر.

وإذا كان ذلك القلق وهذا الاضطراب ناتج عن ذنب ارتكبته، أو جرم فعلته، فما عليك إلا المبادرة إلى التوبة، والإنابة إلى الله تعالى، وطلب المغفرة والرحمة منه لا سواه قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

إنه يغفر الذنوب إذا رجع الإنسان عنها رجوعاً صادقاً، نادماً على الذنب الذي ارتكبه والجرم الذي فعله، عازماً في نفسه على عدم العود إلى المعصية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء: ١٧ـ ١٨].

فمن تاب من ذنوبه غفر الله له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

الخطأ وكيفية التوبة منه

الإنسان ليس معصوماً عن الخطأ ولكن عليه الحذر من الوقوع فيه وإذا تورط بالوقوع، فعليه الرجوع إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(آل عمران: ١٣٥، ١٣٦).

ارجع إلى ربك يا عبد الله، واستغفره فإنه لن يردك خائباً ولكن إذا كنت في استغفارك صادقاً، وإلى ربك منيباً خاشعاً.

يتصور كثير من الناس أن الاستغفار هو أن يقول الإنسان بلسانه: (**استغفر الله**) فقط، معتقداً أنه إن فعل ذلك سجل من المستغفرين، إننا نقول دائماً: (**استغفر الله**)، ولكن في نفس الوقت نرتكب المعاصي

فهل نعد من المستغفرين؟!

لقد سمع الإمام علي (عليه السلام) رجلاً يقول: (**استغفر الله**) وهو يعرف سيرة ذلكم الرجل فقال له: (ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان:

الأول: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: **(استغفر الله)**.

وروي عن كميل بن زياد أنه قال: قلت لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله فما حد الاستغفار؟ قال: يا ابن زياد التوبة، قلت: بس؟ قال: إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول: استغفر الله بالتحريك.

قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان أن يتبع ذلك بالحقيقة.

قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق بالقلب، وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه.

قال كميل: فإذا فعل ذلك فإنه من المستغفرين؟ قال: لا، لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد.

قال كميل: أصل الاستغفار ما هو ؟ قال: الرجوع

إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه وهي أول درجة العابدين وترك الذنب، والاستغفار اسم واقع لمعان ستة، ثم ساق (عليه السلام) المعاني الستة التي ذكرها لذلك الرجل.

فهذا هو الاستغفار الحقيقي، الاستغفار الصادق الذي حث الله عباده عليه.

وبالمعاني التي ذكرها أمير المؤمنين ندرك نتائج الاستغفار الذي أوصى به نوح (عليه السلام) قومه: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح: ١٠ - ١٢].

فلا نخادع أنفسنا بالاستغفار المزيف، استغفار المنافقين والخائنين، بل نعود إلى الاستغفار الحقيقي الذي ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى ننال

رضوان الله وجنته.

وقفة حول واقع المسلم مع أركان الإسلام

ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يكون مدركاً لمقتضيات أركان الإسلام، لكي يكون على بصيرة من أمره، ومعرفة تامة بخالقه، وإننا لو تناولنا حال بعض المسلمين مع أركان الإسلام لوجدناها لا تؤدى على الوجه المطلوب، ولا يلمس أثرها على الواقع المعاش، فلو تناولنا أركان الإسلام الخمسة الأساسية التي لا يعفى أحد من أدائها في حالة انطباق الشروط، لأدركنا تقصيرنا ورجعنا بحصيلة كبيرة من الحقائق الغائبة عن أذهاننا.

فأول أركان الإسلام الإقرار بالله تعالى وحده، والإقرار بنبيه ﷺ فقد يقر الإنسان بذلك، ولكنه ينافي

هذا الإقرار بشبه خطيرة، كالتشبيه والإرجاء، أو ما يتعلق بقضايا العقيدة بشكل عام، وينسب إلى الرسول ﷺ ما لم يقله.

إذن يجب على المسلم الحصيف أن يرجع إلى ما وضحه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم من الصفات اللائقة بالله تعالى، وسار عليها أهل البيت (عليهم السلام).

وثانيها: الصلاة، قد يصلي الإنسان ولكن قد لا يظهر أثرها على حياته، أو لم يحقق الحكمة التي أبانها الله من إقامتها: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾** [العنكبوت: ٤٥].

فالابتعاد عن جميع الرذائل، والتطهير من سوء القول والعمل هو حقيقة الصلاة، وقد جاء في الحديث القدسي: (إنما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي،

لم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤُهُ بعزتي وأستحفظه بملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة)[1].

وثالثها: الزكاة، فهي ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقة الألفة والمحبة قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[التوبة: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**﴾[البقرة: ٢٦٣].

لأن الصدقة تطهر النفس، وتسمو بالمجتمع، ولذا نجد الرسول ﷺ توسع في دلالة كلمة الصدقة،

(١) رواه البزار عن ابن عباس، انظر شرح الأحاديث القدسية: ٤٤.

فقال ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة)[1].

ورابعها: الصوم، ليس الغرض منه الجوع والعطش، بل الهدف منه تهذيب النفس وحرمانها من الشهوات المحظورة، وتنمية الإرادة الصادقة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣] وهنا وضح بأن الصوم يولد التقوى، ويعين عليها، فجاء في الحديث: (ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل:

---

(١) رواه الترمذي برقم ١٨٧٩، كتاب البر والصلة.

إني صائم).

وخامسها: الحج، هذا المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي يجمع المسلمين من شتى بقاع العالم، وقد حدد الله كيفيته بقوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[البقرة: ١٩٧].

أهمية الصلاة

ومن المناسب الإشارة هنا إلى أهمية الصلاة ومكانتها بين الفرائض والأركان، فهي المعينة للمسلم على كبح جماح نفسه الشريرة، وهي التي تجعله بعيداً عن ممارسة الفحشاء والمنكرات القبيحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إذن هل صلاتنا هذه التي نمارسها نهتنا عن ممارسة الفحشاء والمنكر؟ هل نهتنا عن الكذب؟

هل نهتنا عن الغيبة؟

هل نهتنا عن النميمة؟

هل نهتنا عن شهادة الزور؟

هل نهتنا عن الظلم؟

هل نهتنا عن أخذ أموال الناس؟

هل نهتنا عن أذية الناس؟

هل نهتنا عن الابتعاد عن الكلام فيما لا يعني؟

وهنالك الكثير والكثير من علامات الاستفهام التي لو سأل الإنسان نفسه عنها لوجد جوابه ضعيفاً وموقفه ركيكاً، إن الرسول الأعظم ﷺ عندما شبه الصلاة بالنهر الجاري بباب المسلم يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات، فإنه يؤكد ﷺ بذلك على أن الصلاة هي المطّهرة والمزيلة لأدران المعاصي وعقد النفس

الأمارة بالسوء.

كلنا نصلي:

كلنا نصلي، ولكن هل حققت صلاتنا هذه دورها وقيمتها التعبدية، وآثارها التكاملية على النفس والسلوك، إذا كنت تمارس الصلاة ميكانيكياً -أي كالآلة- فقط فإنك لن تشعر بلذتها، ولن تستلهم معانيها، وقيمها الكامنة خلف الممارسة الشكلية لها، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون: ٤-٥].

نعم..ساهون عن أهدافها ومعانيها وقيمها وآثارها، إن المصلي الحقيقي هو ذلك الذي يتفاعل نفسياً وفكرياً مع كل لفظة ينطقها أو ركعة يؤديها، أو مناجاة يرددها، ثم يكون لذلك التفاعل أثره في حياته، في معاملاته، في تصرفاته، في حركاته، في سكناته، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[المؤمنون: ١-٣].

هذا الكتاب:

ولكي يقف المصلي على حقيقة صلاته ومعانيها عمدت إلى تحقيق هذه الرسالة التي بين يديك، والتي خصصها مؤلفها (عليه السلام) لهذا الغرض، وبالرغم من قصرها إلا أنها اشتملت على ما يحسن أن يعرفه كل مصلٍ، لكي لا يردد ما لا يدري، ولا يهرف بما لا يعرف، وهي تقع في (١١صفحة) مخطوطة، مقاس الصفحة (١٦×١٠) وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٣) سطراً، وقد وجدتها في مكتبة شيخنا السيد العلامة الراحل يحيى بن عبدالله راوية -رحمه الله تعالى- المتوفى سنة (١٤١٤هـ) وهي مصورة من أصل بمكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور حفظه الله تعالى.

خطة العمل

١- دفعتها للكمبيوتر للصف.

٢- قابلتها على المخطوطة المذكورة، ولم أحصل على مخطوطة أخرى.

٣- قسّمتها إلى فقرات، واستخدمت علامات الترقيم المتعارف عليها.

٤- جعلت لكل فقرة عنواناً يتناسب مع محتواها، وجعلته بين معقوفين.

٥- أثبت في الهامش ما رأيته ضرورياً.

٦- أثبت ترجمة للمؤلف.

وفي الأخير: أسأل الله العلي القدير، أن يجعلنا ممن يحافظ على الصلاة، ويفهم معانيها، ويعمل بمقتضاها، إنه على كل شيء قدير..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين،،،

وكتب

عبدالله بن حمود بن درهم العزي

اليمن- صعدة

١٤٢٤/٦/٢١هـ ٢٠٠٣/٨/١٩م

ترجمة المؤلف[1]

نسبه

هو الإمام الأعظم، المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن المفضل بن عبدالله الحجاج بن علي بن يحيى بن الإمام القاسم بن الداعي يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى، بن الناصر للدين أحمد، بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، بن الإمام

---

(١) كتب هذه الترجمة السيد العلامة علي بن عبدالكريم الفضيل في مقدمة البحر الزخار، فاختصرتها، وتصرفت في بعضها بما يتناسب مع حجم هذه الرسالة.

القاسم بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم الشبه، بن الإمام الحسن الرضا، بن الإمام الحسن السبط، بن الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وأمه: هي الشريفة الفاضلة حصينة بنت محمد بن علي، تلتقي مع الإمام في المنصور بن المفضل، وأخوها هو الإمام المهدي علي بن محمد بن منصور بن يحيى بن منصور بن مفضل، المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

مولده

مولده (عليه السلام) سنة ٧٤٦هـ بإلهان، آنس قضاء ذمار جنوب صنعاء اليمن، وقد ذكر الشوكاني أن مولده تقريباً في سنة ٧٥٥هـ، وتبعه آخرون في هذا التحديد لمولده، ولكن الصحيح هو ما ذكرناه اعتماداً على ما صححه السيد المؤرخ الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين في كتابه (المواهب السنية)، وهو أعرف من غيره بتأريخ مولد جده الإمام المهدي (عليه السلام).

وفي العام الخامس من عمره ماتت والدته، كما أن والده كان قد مات قبلها رحمهم الله، فاحتضنت اليتيم أخته الشريفة دهما بنت يحيى بن المرتضى، وهذه الشريفة هي المشهورة في التأريخ بعلمها وأدبها، ومن مؤلفاتها: (الأنوار) و (شرح منظومة الكافي في الفقه)، و(مختصر المنتهى في أصول الفقه) و (الجواهر في علم الكلام)، وكانت أخيراً تقوم بتدريس العلم في مدينة (ثلا) حتى توفاها الله سنة ٨٣٧هـ، رحمها الله تعالى.

عاش اليتيم في حضانة هذه الأخت الرحيمة التقية الواعية، وتحت إشراف أخيه الأكبر العلامة الهادي يحيى بن المرتضى، ورقابة خاله الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي بن المنصور بن يحيى بن المنصور بن المفضل بن عبدالله رحمهم الله، وفي ظل هذه الأسرة الزكية الواعية المستنيرة ترعرع ونمى وتربى على حب المعارف والمكارم، وخلال التقوى والمروءة والطهر والعفاف، وتنشّأ في ربوعها على حب الفتوة

وأبطالها، والعصامية وأعلامها، والإنسانية وهداتها.

هكذا نبت ونمى في بيت يشع بالنور، ويتألق بالحكمة، وتتجسد التقوى والورع في كل ساكنيه شيوخاً وشباباً، ذكوراً وإناثاً، وفي مجتمع فياض بالعلم والأدب والنبل والورع والصلاح.

حياته العلمية

من الراجح أن الإمام المهدي(عليه السلام) تلقى دروسه الأولية في الخط والحساب، وما شاء الله من القرآن والتوحيد على أخيه الهادي، وعلى يد أخته الشريفة دهما كقاعدة أهل البيت(عليهم السلام) في عصورهم الأولى في تعليم أولادهم الأوليات من العلم، وتلقينهم قبل ذلك كلمات التوحيد اقتداء بالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث كان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه أن يقول: (الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في

الملك وخلق كل شـيء فقدّره تقديرا)[1] ثم يدفعونهم بعد ذلك إلى من يرتضونه ديناً وخلقاً وعلماً لتعليم أولادهم حتى بلوغ الذروات في العلم والأدب.

ونحن نلاحظ من سيرة الإمام المهدي أنه بدأ في تلقي العلوم الإسلامية بداية تستدعي الإنتباه؛ إذ كانت على خلاف الشائع والمعروف بين أقرانه وأمثاله؛ إذ كان الشائع بينهم والمعروف لديهم أن يبتدئ الطالب في تعلم العلوم بدارسة الفقه، والأصول، وقواعد اللغة العربية جامعين بين هذه الفنون الثلاثة من البداية حتى يبلغ الطالب الدرجة اللائقة به لدراسة التفسير والحديث وغير ذلك؛ حتى يأتي على معظم العلوم الإسلامية.

ولكن الإمام المهدي لم يبدأ هكذا، بل تخصص من البداية في دراسة علوم اللغة العربية لمدة سبع سنوات،

(١) حكاه في نيل الأوطار للشوكاني (١٦/١، مطبعة الحلبي).

أصبح بعدها المرجع الأول والأخير في علوم اللغة العربية، وهذه البداية كما دلت على مدى تفوقه، تدل على ذكاء وطموح عقلي عظيمين، وتدل في الوقت نفسه على نفس عازفة عن الدنيا ووسائل العيش الرخيص فيها، كما تدل على أنه قد أراد لنفسه أن يعيش في القمة ليتمكن بجدارة رائعة وخبرة فائقة من هداية الضالين وإرشاد الحائرين، وهكذا كان بعد أن استقصى كل العلوم الإسلامية الموجودة في عصره وبلغ الذروة فيها.

ولا شك أن إتقانه لعلوم اللغة العربية قد ساعده كثيراً على فهم ما سواها، وهذا إلى جانب ما وهبه الله من الفهم والذوق والإدارك وعمق التفكير، مع عقل راجح وصدر رحب، وقدرة على البيان، والإقناع عند مقارعة الأقران، مع لسان غير سباب ولا مجادل، وفؤاد أبيّ لا ينصاع للباطل، وعقل متنور جمّاع

للمسائل، نقّاد لصحيحها من سقيمها، حلاّل للمشاكل، لا يعجزه عويصها، ولا ترهبه قعقعتها، وعلى الجملة فهو كما وصفه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير بقوله:

أوتيت من بين الأئمة آية

تبقى مع الأقران والأعصار

لم يؤتها بعد النبي خليفة

كلا ولا حبر من الأحبار

بهرت فلم يسطع عدوك ردها

بتهاونٍ فيها ولا إنكار

شهدت بأنك بعد جدك أحمد

مهدينا المشهور بالآثار

إلى آخرها.

أساتذته

أما أساتذته فمنهم أخوه العلامة الهادي بن يحيى بن المرتضى أخذ عليه في علم العربية وأصول الدين وأصول الفقه.

والقاضي محمد بن يحيى المذحجي سمع عليه الخلاصة وحفظ الغياصة، وشرح الأصول الخمسة للسيد مانكديم، وتذكرة ابن متّويه في علم المنطق.

والقاضي علي بن عبدالله بن أبي الخير قرأ عليه المحيط والمعتمد لأبي الحسن البصري، ومنتهى السؤل وتذكرة ابن متّويه.

والفقيه علي بن صالح سمع عليه السيرة النبوية، ونظام الغريب، ومقامات الحريري.

والمقري المعروف بابن النساخ قرأ عليه الكشاف.

كما قرأ المسانيد والأمهات في علوم الحديث،

واستجاز نفيس الدين العلوي فأجازه، وقرأ على ابن خاله الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد بن علي، وأجازه، واستمر عند هؤلاء وغيرهم من مشاهير ذلك العصر حتى بلغ الذروة في كل العلوم ومجتهدها المطلق بلا خلاف، وكان المقبلي يعتبره في مجتهدي الأئمة، ونعته المنصفون بالإمام الأعظم.

دعوته

بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد سنة ٧٩٣هـ، اجتمع العلماء كعادتهم في مثل هذه المواقف للتشاور فيمن يصلح لهذا المنصب العظيم، وأجمع المتشاورون على اختيار صاحب الترجمة، وبعد أخذ ورد معه، وافقهم على ذلك، ثم بويع له بالإمامة الشرعية في المسجد كما هو شأن الخلفاء الراشدين، وكان أول من بايعه هم

العلماء، حتى لقد قال بعضهم: إنه لا يفرق بين هذه البيعة وبيعة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)، وتوالت بعد هذه البيعة بيعة العلماء ومشائخ القبائل من معظم أنحاء اليمن، وكان ابن الإمام الناصر واسمه علي بن صلاح الدين قد رشح نفسه للإمامة، ولما علم وزراء الدولة بمبايعة العلماء للإمام المهدي سارعوا لمبايعة علي بن صلاح، ولقّبوه بالمنصور، وهكذا سلك أرباب المصالح كأمثالهم في كل زمان ومكان مسلكاً مخالفاً للمسلك الزيدي الصحيح في اختيار الإمام ومبايعته، وبالطبع تجمع وتكتل معهم أمثالهم في أنحاء اليمن، وبدأت المعركة، وكان النصر حليف الوزراء بعد أن غُدر بالإمام المهدي ومن بمعيته من العلماء في مدينة (معبر) ثم سيق إلى سجن (صنعاء) مع أربعة ممن بقي على قيد الحياة من كبار العلماء، وهم القاضي سليمان بن إبراهيم النحوي، والقاضي أحمد بن موسى العباسي، والقاضي إبراهيم بن الفضلي، والسيد

علي بن الهادي بن المهدي.

الإمام في السجن

دخل الإمام المهدي السجن في عام٧٩٤هـ، وعمره إذ ذاك ثلاثون عاماً على الصحيح، دخلة الشباب ونور العلم، ويقين المؤمنين، لذلك فلم يمكث فيه إلا قليلاً حتى تحول السجن إلى روضة من رياض العلم، وأصبحت زنزاناته غرفاً وفصولاً يتدارس فيها الحكمة، ويتلى فيها بخشوع الصابرين كتاب الله، وصَلُح كل أهل السجن، وتتلمذوا على يده، وتعلموا منه الكثير من مسائل الدين.

في هذا السجن ألّف الإمام (متن الأزهار، وشرحه بالغيث المدرار) وقد أودعه زهور المذهب الهادوي الزيدي في الفروع، وقصد تقريب ذلك للمقلدين، وليس من البعيد أن يكون من أهم الحوافز له على

تأليفه هو إفادة المسجونين وأمثالهم بثمار المسائل التي لم يصل إليها العلماء إلا بعد جهد الطلب ومشقة البحث.

والكتاب لشموله وتحقيقه وبلاغة أسلوبه وحسن تبويبه؛ يُعد من آيات الإمام التي اختصه الله بها ومنحه إياها لنفع المؤمنين، وانتشال الجاهلين من ظلم الحيرة إلى نور المعرفة والهدى، ولقد نقم العلماء على المنصور لحبس الإمام المهدي(عليه السلام) ونصحه الكثير بوجوب تخلية سبيله، وممن كتب له في ذلك السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله، واستعطفه بقصيدة رائعة منها:

فقلت له فداك أبي وأمي
تلطف بالقرابة والرحامة
فإن السيد المهدي منكم
بمنزلة تحق له الفخامة

ألم يك جدك المهدي خالاً

له وكفى بذلك من رحامة

نصيحة وامق خدنٍ شفيقٍ

محبٍ ليس يحتاج القسامة

فإني والحديث لذو شجون

وليس يليق في الدين الحشامة

أخاف إذا استمر القيد فيه

تجيء مقيداً يوم القيامة

ولا تسمع إلى من قال فيه

بترك القيد واطرح الملامة

وقد كان من أثر هذه القصيدة أن فك المنصور القيود التي كانت على الإمام المهدي، وبعد سبع سنين كاملة وأحد عشر يوماً خرج الإمام المهدي من السجن فراراً،

ومعه حراس السجن المنصوري، واتجه نحو مدينة (ثلا) حيث التقى فيها بالعالم العظيم الفقيه (يوسف بن أحمد بن عثمان)، وكان يسكن هجرة العين القريبة من مدينة (ثلا) مدرساً وناشراً العلم فيه، ثم كاتبه الإمام الهادي لدين الله علي بن المؤيد، وطالبه بالوصول لفتح مدينة صعدة، فدخلها والإمام الهادي سنة (٨٠١هـ) وفي الاتفاق الأول بينهما في هجرة (فلله) حيّاه الإمام الهادي بقصيدة رائعة منها:

تَبَلّج حبس بعد أن كان موصدا
به قمر تزهو به الشمس والقمر
وما انفك عنه الحبس حتى تصدعت
لهيبته أركانه الترب والحجر
وما جئت حتى أيس الناس أن تجي
وسميت منظوراً وجئت على قدر

فلله من آت به الأرض أشرقت

ولله من آت سقينا به المطر

فأهلاً وسهلاً ثم أهلاً ومرحباً

عديد الحصى والقطر والنمل والشجر

وقد أودع الإمام الهادي قوله:

وما جئت حتى أيس الناس أن تجي

المبرر لقيامه بأعباء الإمامة في بلاد صعدة، وهو اليأس من خروجه من السجن، هذا وقد عاد الإمام المهدي (عليه السلام) إلى مدينة (ثلا) للقيام بأعباء الرسالة الإنسانية الخالدة، رسالة العلم والهدى، قد قام بها أحسن قيام يشهد له بذلك ما خلّفه من تراث فكري عظيم صار وما يزال نبعاً عذباً فياضاً لكل وارد، وسراجاً وهاجاً لهداية الضالين وإرشاد الحائرين.

الإمام والجهاد

نلاحظ من سيرة الإمام المهدي(ع) أنه بعد أن خرج من سجن صنعاء جنّد نفسه للجهاد والجلاد، ولكن جهاده وجلاده في هذه الفترة لم يكن مع المنصور علي بن صلاح ولا مع غيره، وإنما كان مع الجهل والبدع والضلالات، جاهد هذا الثالوث الرهيب بلسانه وبيانه وسلوكه، وخرج بنفسه من أجل ذلك إلى القرية، وتجول في السهول حيثما تسكن القبائل وتأوي إليها النسور القشاعم من أحفاد الأنصار وأشبال أحفاد الأنصار، وفيها حمل راية الجهاد، ونادى بوجوب الاجتهاد، وبحرية وقدسية الفكر والرأي للانتقاد الحر، والاستنباط الحر من مصادر الإسلام الأولى كتاب الله وسنة رسول الله(ص) والاستفادة من الثروات الفكرية التي خلفها الأئمة الهادون والعلماء المجتهدون في كل أصقاع الأرض، ومن أجل ذلك ألف المؤلفات الشاملة، وحرر الرسالات الصادعة، وبدد الشبهات

بالحجج النيرات، ولذا ظهرت بعض مؤلفاته في هذه الفترة على النحو التالي:

في (ثلا) وبعد خروجه من السجن ألّف كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وفيه تظهر آراؤه وأنظاره الخاصة في كل المسائل التي اشتمل عليها الكتاب.

وفي سنة ٨١٦هـ سافر من (ثلا) إلى بلاد مسور، وفيه مكث ما شاء الله، وبدأ في كتابه (غايات الأفكار) وهو شرح لما تضمنه كتاب (البحر الزخار) من العلوم.

ثم رجع إلى مسور لزيارة أولاده، وفي هذه الفترة ألّف (القمر النوار)، ثم نزل (الدقائق) من بلاد لاعة وفيها ألّف (حياة القلوب) وهو الذي بين يديك.

وفي سنة ٨٣٦هـ توفي الإمام الهادي علي بن المؤيد، وأوصى بتسليم ما كان بيده من الحصون إلى الإمام المهدي صاحب الترجمة، فأمر ابنه الحسن بن المؤيد

بتعهدها وافتقادها، أما الإمام نفسه فقد رحل إلى ظفير حجة، حيث اتخذه وطناً له، وذلك في سنة ٨٣٨هـ، وفي سنة ٨٤٠هـ توفاه الله شهيداً بالطاعون، وقبره بالظفير مشهور رحمه الله، وجزاه خيراً، وألحقنا به صالحين.

مؤلفاته

أولاً: أصول الدين

١- نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد.

٢- غرر القلائد في شرح نكت الفرائد.

٣- القلائد في تصحيح العقائد.

٤- الفرائد شرح القلائد.

٥- الملل والنحل.

٦- المنية والأمل في شرح الملل والنحل.

٧- رياضة الأفهام في لطيف الكلام.

٨- دامغ الأوهام شرح رياضة الأفهام.

ثانياً: أصول الفقه:

٩- فائقة الأصول في معاني جوهرة الأصول.

١٠- معيار العقول في علم الأصول.

١١- منهاج الوصول إلى شرح معيار العقول.

ثالثاً: الفقه:

١٢- كتاب الأحكام من البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار في سائر علوم الاجتهاد.

١٣- متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار.

١٤- الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار.

١٥- الانتقاد للآيات المعتبرة للاجتهاد.

١٦- المستجاد شرح الانتقاد.

رابعاً: الحديث

١٧- الأنوار في الآثار الناصة على مسائل الأزهار.

خامساً: الزهد

١٨- القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار.

١٩- تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام.

٢٠- حياة القلوب في إحياء عبادة علاّم الغيوب، وهو الذي بين يديك.

٢١- شرح تكملة الأحكام.

سادساً: الفرائض

٢٢- الفائض في علم الفرائض.

٢٣- القاموس في الفرائض.

سابعاً: المنطق

٢٤- القسطاس المستقيم في الجدل والبرهان القويم.

ثامناً: التأريخ

٢٥- الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه الغرر والعترة المنتجبين الزهر.

٢٦- يواقيت السير شرح كتاب الجواهر والدرر.

٢٧- تحفة الأكياس في سيرة آل أمية والعباس.

٢٨- تزيين المجالس بذكر التحف النفائس.

٢٩- الدرر المنيرة في فقه السيرة.

تاسعاً: اللغة

٣٠- الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر.

٣١- الشافية في كشف معاني الكافية.

٣٢- المكلّل بفرائد معاني المفصّل.

٣٣- تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب.

٣٤- إكليل التاج وجوهره الوهاج.

الإمام والأدب

لم يقتصر الإمام المهدي (رضي الله عنه) على الرسائل والمواعظ والمؤلفات في نشر علومه وأفكاره ونظرياته طوال حربه الضروس مع الثالوث الرهيب: الجهل، والبدع، والضلالات، بل قرّض الشعر وحبر القصائد، لذلك الهدف الرفيع، فمن ذلك قصيدته التي سماها: (ظاهرة المواعظ وزينة الواعظ) ومطلعها:

أصحيفة سوداء وشيب أبيض

ومنية أزفت وقلب معرض؟

وهي تزيد على سبعين بيتاً.

وقصيدته الموسومة (الدرة المضيَّة في ذكر أئمة العترة الرضية) ومطلعها:

لوميض برق لاح للمشتاق

أرسلت ودق سحائب الأحداق

وقصيدة منها:

خاضوا المنية في مرضاة خالقهم

وحكموا السيف في هام وأعناق

فكم أطارت سيوف الآل من قلل

وكم دم في سبيل الله مهراق

وهي نحو ستين بيتاً.

وقصيدته الموسومة (الزهرة الندية في صفة الدنيا الدنية).

وقصيدته الموسومة (سمط اللآل في الرد على أهل الضلال) ومطلعها:

الحمـــدلله علــــى كـــل حـــال

مــا هــاج بلبــال ومــا قــر بــال

وقصيدته الموسومة (الزهـرة الزاهـرة بتحقـير الدنيـا وتفخيم الآخرة) ومطلعها:

أمـن نكبـات الدهـر قلبـك آمـن

ومن روعات فيه روعـك ساكن

ومـن غـرر قصـائده قصيـدة لـه(عليه السلام) في تذكـير أبنـاء فاطمة الزهراء(عليها السلام) قوله:

إذا مـــا رأيـــت الفـــاطمي تمـــردا

أقام على كسب المعاصي وأخلدا

فـذاك الـذي اكتســى ثـوب عـزّةٍ

تبــدل أثــواب الدنــاءة وارتـــدى

فيـــا ســـوءتا للفـــاطمي إذا أتـــى

أسير المعـاصي يـوم يلقـى محمـدا

فلـو لم يكـن إلا الحيـاء عقوبـةً

ولم يخش أن يصلى الجحيم مخلدا

لكـــان لـــه والله أعظـــم وازع

من النكر والفحشاء كهلاً وأمردا

فقــل لبــني الزهــراء إن محمــدا

بنـى لكـم بيـت التقـاء وشـيدا

وإن أبـاكم حيـدرا بعـده الـذي

حماه وقد قامت إلى هدمه العدى

فـلا تهدمـوا بنيـان والدكـم وقـد

تحسى أبوكـم دونـه جـرع الـردى

فشـر فتـى في العـالمين فتـى أتـى

وقـد أصلحـت كفـا أبيـه فأفسـدا

فهذه لمحة عن حياة الإمام الأعظم إمام العلم والأدب والتضحية، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

مصادر الترجمة

التحف شرح الزلف١٩٣، مطمح الآمال -خ-، الجواهر المضيئة (خ) الإمام المهدي أحمد بن يحيى وأثره في الفكر الإسلامي تأليف محمد الكمالي طبع سنة١٩٩١م، لوامع الأنوار: ٢، ١٦٤-١٧٤، الموسوعة اليمنية: ١، ٥٥، مقدمة البحر الزخار: ١٣-٢٦، أعلام المؤلفين الزيدية: ٢٠٦-٢١٣، مصادر الحبشي: ٥٨٣، ابن المرتضى من المهد إلى اللحد د. المأخذي ٤٤، ١٩، مقدمة كتاب المنية والأمل، تحقيق د.جواد مشكور٥-١٠، البدر الطالع: ١، ١٢٢، بلوغ المرام: ١٢٦، تاريخ الواسعي: ٤٠، تتمة الإفادة(خ)، كنز الحكماء وروضة العلماء ترجمة للإمام المهدي بقلم ابنه الحسن، الأعلام: ١، ٢٩٩، أئمة اليمن: ٣١٢.

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله، ونستعينه، ونشهد به، ونسأله العصمة عن معاصيه، ونصلي على نبيه المختار، وآله، وصحبه الأبرار، أما بعد:

فإنا نظرنا في أمرين عظيمين ملازمين للعباد، مخالفين لما يقتضيه المعتاد، ورق علينا سبب لزامها، فأمعنا النظر، حتى اهتدينا إليه، ودلّنا التوفيق عليه، فتكلمنا عليه في فصول ثلاثة، نرجوا أن ينتفع بها ذوو العقول.

[الفصل الأول
الغفلة عن ذكر الموت والاستعداد له]

الفصل الأول: في سبب الغفلة عن الاهتمام بالموت، وعدم الفزع منه، مع تيقن كوننا في حال السعي إليه، لا نفتر عنه لحظة، مع كونه أمراً فاجعاً، وهولاً رائعاً، حتى قال بعض الصالحين: (ما رأيت يقيناً لا شك معه أشبه بالشك الذي لا يقين معه مثل الموت) فإن تيقن العباد لا شك معه، وغفلتهم عن الاهتمام بموتهم إنهم شاكون فيه شك لا يقين معه، وما هذا حال من يحكم له بكمال العقل، فطلبنا لذلك وجهاً مقتضياً له، ومثالاً يتضح به، فألهمنا الله تعالى

إليه، فقلنا: وجه هذه الغفلة المقتضى لها، أنهم ركبوا تركيباً يحتاجون فيه إلى دفع المضار العاجلة قبل حضور وقت المضار الآجلة، وهم في حال مدافعة مضار الجوع والعطش، والبرد والحر، والخوف والسقم والغم والقهر والإهانة، والاستخفاف والشماتة، ونحوها من الأحوال التي يرى الإنسان أن تجرعه بغصص الموت أهون من تجرعها، فيهون الاهتمام بها، وقد سئل ﷺ عما هو أشق من الموت؟ فقال ﷺ: (أشق من الموت ما يتمنى الموت من أجله).

فالاهتمام بمدافعة هذه المضار العاجلة، التي لا ينفك عن الاشتغال بدفعها، وإلا وقع فيها هو الذي لأجله هان في قلبه هم ما يعلمه مما يصير إليه في المستقبل من ضرر الموت، والإشكال أن ذلك شاغل لا ينكره عاقل، لكن لهذا الداء دواء أدركه عباد الله المخلصون،

وأولياؤه المتقون، استنبطوه من بحار التفكير، واستعانوا عليه بمواد التنوير، نودعه (شرح تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام)[1].

وأما مثال ذلك في الشاهد، فاعلم إن مثال العبد الذي يعلم يقيناً أنه يسعى كل يوم وليلة مرحلتين إلى الموت، ويغفل عن الاهتمام به والأثرة عاجل من أجله، رجل أذنب إلى ملك ذنباً عظيماً أوجب ضرب عنقه، فأمر الملك لإحضاره لضرب العنق وهو في مسافة بعيدة، لكن لم يشاهد في تلك الحال الذين قد تأهبوا لضرب عنقه، ويرى السيف مصلتاً، والنطع

---

(١) كتاب (تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام) هو من الكتب التي تعالج النفس، وتناقش أمراضها، طبع بتحقيقنا، وقد أشار المؤلف (عليه السلام) هنا إلى أنه شرحه، وله أيضاً شروح عديدة منها: شرح السيد العلامة المجتهد محمد بن عز الدين المؤيدي، المعروف بالمفتي (ت: ١٠٤٩هـ) وكذلك شرح القاضي العلامة المحقق أحمد بن يحيى حابس الصعدي (ت: ١٠٦١هـ) وكذلك شرح السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال (ت: ١٠٨٤هـ).

ممدوداً، فسار به الذين ذهبوا لإحضاره، وجعلوه في حال سيرهم به يطعنونه من جوانبه بأشطة حادة في أيديهم، لا يسلم من ذلك إلا إذا اتقى من تلك الطعنات بجحفة في يده، فمتى اتقى بها من طعنهم سلم من ضررهم وقطعها في جسمه، ومن لم يتق منه أوقع طعنته في جسمه فآلمه، فبقي مشغولاً باتقاء تلك المطاعن عن الاهتمام الذي هو سَاعٍ إليه من ضرب العنق، حتى هان عليه ما هو ذاهبٌ إليه في جنب ما هو فيه من مدافعة تلك المضار.

وهذا واضح، وكما ترى لا لوم له إذا استقل بذلك وقربه منه، وحضور وقته وتأخر المستقبل، فهذه الصورة المذكورة مضار الجوع والعطش والحر والبرد والخوف والسقم والغم والإهانة والاستخفاف، فإن العالم بها كالعالم بالطعن الحقيقي، وقربها لا ينفك عنه في ليله ونهاره، فهون عليه همّ الموت والانزعاج به، وأذهله عنه، فإذا قطع أسبابهما تفرغ قلبه لإدراك همّ الموت، والاشتغال به، والله ولي التوفيق.

الفصل الثاني
أسباب الغفلة عند المناجاة

وأما الفصل الثاني: في سبب غفلة العبد في حال قيامه لحال مناجاة ملك السماوات والأرض، وهو يعلم أنه حاضر لديه، ورقيب عليه، وأن عظمته فوق كل عظيم، وأنه محتاج إليه، غير مستغن عنه في أية حال، وأن إحسانه فوق كل إحسان، وأن عاقبة عصيانه الخلود في النيران، وكيف يقوم بخطاب من يعلم أن هذا حاله! ولا يرتعد لهيبته كما يرتعد في حال خطاب ملك من ملوك الدنيا! يخاف بطشه يرجو نعمته، فيجمع قلبه للإقبال عليه، وحسن الوداد إليه،

وبين عظمة ذلك الملك، وعظمة ملك الملوك ما لا يتناهى من التفاوت، فكيف يقوم بعبادته وهو يعلم ذلك!! وهو يذهل عنه بخواطر أعراض الدنيا، ووساوس الإغواء، حتى لا يشعر بمعاني ما تلاه في صلاته، وما المطلوب بها، ويسهو عن عدد أركانها، فالعجب كل العجب من هذه الغفلة في حال خطاب من له العظمة، مع تيقن ذلك.

هذا مما تحار فيه العقول، ولقد أمعنا النظر في سببه، فما وجدناه إلا أن السبب الذي أذهله عن همّ الموت، مع تيقن سعيه إليه، وهو اشتغاله بهمّ العوارض التي قدّمنا ذكرها، ولم نجد له سبيلاً إلا التحفظ في حال الصلاة عن تلك الشواغل، إلا أمرين:

أحدهما: ما سنذكره إن شاء الله تعالى في (شرح التكملة) مما يدعو إلى الاستعداد للموت، والاشتغال

بهمّ الزوال والفوت[1].

والثاني: ما نذكره الآن في الفصل الثالث.

---

(١) قال المؤلف (رحمه الله) في (تكملة الأحكام): قوله ﷺ: (الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم) يوجب على سامعه إمعان النظر في معرفة مواقع الخطر المخوف بعد حصول العلم والعمل والإخلاص لله تعالى فيهما، والأقرب أن المخوف على المكلف بعد حصول ذلك منه، إنما هو حصول ما يحبطه من المعاصي، وإنه لا تكليف عليه بعد استكماله الثلاثة: العلم، والعمل، والإخلاص، إلا في حفظه مما يحبطها من المآثم الباطنة التي يجوز ذهول الخاطر عن عظم خطرها فيتسامح فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿أنْ تَحْبَطَ أعمالكمْ وأنتمْ لا تشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] وقوله ﷺ: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها عند الله طالبا))، وكذلك التحفظ من أمر يدق وجه قبحه فيراه العبد حسنا، وهو في علم الله قبيح فيؤتى من إخلاله بالنظر الصحيح فيه، وقد ورد عنه ﷺ التحذير من الذنب الذي لا تمحوه التوبة، فقال ما معناه: (إنه الذنب الذي يعتقده العبد من الإحسان، وهو عند الله تعالى من العصيان)، فلا خطر يخشاه العالم العامل المخلص، إلا أحد هذين الوجهين، وقد نبه ﷺ على ذلك بقوله: (حراسة العمل أشد من العمل) وقوله ﷺ: (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، وتوفيتم ما بين الركن والمقام، ما نفعكم ذلك إلا بالورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع).

فرع: وقائد الورع استشعار الخوف، وقائد الخوف عدم الغفلة عن قصر المدة، وقرب الرحلة، وتجديد ذكر الموت، وقد نبه ﷺ على ذلك بقوله ﷺ: (اكثروا ذكر هاذم اللذات) الخبر، وقوله ﷺ: (كفى بالموت واعظا)، ولله در بعض الحكماء حيث يقول: (لا تكن طاعتك لله تعالى بقدر حاجتك إليه، وجرأتك على المعاصي بقدر صبرك على النار)، أو كما قال، ولله در بعض الواعظين حيث يقول: يا مقهورا بغلبة النفس صل عليها بطول العزيمة، فإنها إن عرفت جدك استأسرت لك، وامنعها لذيذ المباح لتصطلحا على ترك الحرام، الشيطان والدنيا عدوان باثنان عنك، والنفس عدو مباطن ومن أدب القتال قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكمْ منَ الكفّار﴾ [التوبة: ١٢٣]، وكفى بقول الملك الجليل في محكم التنزيل تأديبا وتهذيبا: ﴿وأمّا منْ خافَ مَقامَ ربّهِ ونَهَى النفسَ عنِ الهوى، فإنّ الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

[الفصل الثالث
ذكر أهمية الصلوات الخمس ورواتبها]

وأما **الفصل الثالث**: وهو في ذكر الصلوات الخمس، التي فرضها الله سبحانه على عباده، فاعلم أن الله تعالى إنما فرضها ليطهر بها عباده عما اقترفوا فيما بين أوقاتها من الذنوب في اليوم والليلة، وقد ذكر ﷺ ما يدل على ذلك، حيث قال: «مثل الصلوات الخمس كنهرٍ جارٍ على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم وليلة خمس مرات، فماذا ترون عليه من الدرن بعد ذلك» أو كما قال، ونبه الله على معنى الحديث، حيث قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤] وذكر محقق المفسرين

أنها المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[1] [الكهف: ٤٦].

(١) لعله يقصد العلامة المفسر أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة (٥٨٠هـ) قال في الكشاف: (﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: أعمال الخير التي تبقى ثمرتها وتنفي عنه كل ما تطمح إليه النفس من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وعن قتادة: ما أريد به وجه الله) انظر [الكشاف: ٢/٦٧٨].

ما تضمنته الفرائض ورواتبها من الحسنات

نعم.. وقد تتبعنا ما تضمنته الفرائض الخمس الرواتب ورواتبها من الحسنات، فوجدناها في كل يوم وليلة خمسمائة حَسَنة وسَبعاً وسبعين حسنة، وتحقيق تفصيل ما ذكرناه ومصيرها إلى العدد الذي أحصيناه أن نقول:

أولها: التسمية في كل وضوء، فهي حسنة، ثم كل وضوء في نفسه حسنة، ثم الفاتحة في كل ركعة حسنة، ثم تكبير النقل، كل تكبيرة حسنة، ثم كل ركوع حسنة، ثم كل اعتدالٍ بتسميع أو تحميد حسنة، ثم كل سجدة حسنة، ثم كل تسبيحة حسنة، ثم الشهادتان في كل تشهد حسنة، ثم الصلاة على النبي

وآله، في كل مرة حسنة، ثم كل تسليمتين حسنة، ثم إن سجد للسهو فعلى ما تقدم، فإذا كانت الفرائض ونوافلها ستاً وعشرين ركعة كان الحاصل بها من الحسنات العدد الذي ذكرناه، فقد أفلح من يفعل ذلك في كل يوم وليلة من ابتداء تكليفه إلى ارتفاعه، لكن تمام ثوابها الخشوع شهادة قول الرحمن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] وهيهات ما أصعب استصحابه إلا على من نوّر الله قلبه، شهادة قوله جل جلاله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥].

وسائل الخضوع والخشوع

وها نحن نذكر أولاً السبيل الذي تيسر على سالكه الخضوع واستصحاب الخشوع بتوفيق الله ولطفه، فنقول: ينبغي للعبد إذا أراد القيام للوضوء للصلاة أن يصرف ذهنه إلى أن قيامه إلى ذلك وفعله إنما هو كخطاب ملك الملوك، والاعتذار إليه من التقصير في الحياء منه في أحواله السابقة، ويطلب منه العفو والمغفرة والإحسان، وأداء ما أمر به من العبادة، فقد روي أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان إذا قام للوضوء اصفرّ لونه وامتقع، فقال: ((علمت أني قمت للتهيؤ لخطاب ملك الملوك، فارتعدت لهيبته)).

[تدبر أذكار الصلوات]

هذا معنى الخبر، فينبغي العمل بمقتضى ذلك، واستصحاب ما نذكره، حتى يفرغ من وضوءه، ويذكر الله ما قد ورد الأثر به حال الوضوء وبعده، وقد أودعناه كتبنا الفقهية[1]، فإذا فرغ من ذلك واستقبل القبلة لأداء الصلاة، جدد العزم على أنه لا ينطق بشيء من ألفاظ أذكارها إلا وهو متذكر لمعناه، قاصداً لأداء ذلك المعنى ما أمر، فإذا أخذ في الأذان فقال: ذكر أن معنى الله: الإله الذي تحق له العبادة، وهو الذي رفع السماوات والأرض، ويشير بطرفه إليها، متصوراً لها سبع سماوات بعضها فوق بعض، على صورة هذه السماء التي شاهدها.

---

(١) من الأدعية المأثورة حال الوضوء، ما رواه الإمام الهادي (عليه السلام) في كتاب (الأحكام في الحلال والحرام)

[استشعار معاني ألفاظ الأذان]

فإذا قال: «أكـــبر»: أراد به أكبر من كل ما يكبر قدره في النفوس، ثم يقصد تكرار ذلك في نفسه ونفس من سمعه.

فإذا قال: «أشهد»: أراد أنه يخبر عن يقين لا عن ظنٍ، أنه لا إله تحق له العبادة إلا الله -أي الإله المعهود- الذي له ملك السماوات والأرض، ثم يقصد إعادة ذلك لتمكنه في نفسه ونفس سامعه.

وكذلك يقصد في قوله: «**أشهد أن محمداً رسول الله**»: وليستحضر ما علم من نبوءته من ظهور المعجزة الباقية بين أظهرنا وهي القرآن، فإذا أكمل

الشهادتين أراد الدعاء إلى العبادة التي جاء بالتكليف بها، ذلك النبي ﷺ، فقال: «**حي على الصلاة**»: هلم إلى الصلاة، مخاطباً لنفسه ومن سمعه، أي احضروا إلى العبادة التي فرضها ربنا علينا، لما فيها لنا من الصلاح، ثم يكرر ذلك ليتمكن في النفس، ثم يقصد توكيد ذلك الدعاء إلى الصلاة المفروضة، بأن يقول: «**حي على الفلاح**»: هلم إلى ما يحصل به فلاحنا، وهو القول بجزيل الثواب والسلامة من أليم العقاب، يقصد هذا المعنى عند نطقه بذلك، ثم يكرره ليتمكن في نفسه ونفس سامِعِه، ثم يقصد توكيد الدعاء إلى الصلاة بالتعريف، بأنها خير الأعمال التي يستجلب بها النفع، ويستدفع بها الضرر بأن يقول:

«**حي على خير العمل**»: أي فضله، ثم يقصد تكرير ذلك، ليتمكن في نفسه ونفس سامعه، ثم يقصد توكيد

الدعاء به إليها، بأن يخبر أن الإله أمر بها، وهو أكبر من يجب امتثال أمره، فيقول: «**الله أكبر**»: ثم يقصد توكيد ذلك لتكريره، ليتمكن في نفسه ونفس سامعه، ثم يقصد توكيد الاهتمام بما دعا إليه بأن يخبر أنه لا ملك تحق له هذه العبادة إلا الله الإله المعهود بقوله: «**لا إله إلا الله**»: أي ليس في الوجود ملك تحق له هذه العبادة إلا الإله المعهود الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما.

ثم إذا أراد الإقامة، استحضر تلك المعاني المذكورة، وإن كان المشروع أن يحدرها ولا يرتلها، ثم بعد الإقامة يستحضر في ذهنه أنه خارج من مخاطبة نفسه والعباد إلى مخاطبة ملك الملوك خاصة، فلينبه نفسه على ذلك بأن يطلب من الله أن يطرد عنه الشيطان الذي يدعوه إلى ما يغفله عن استحضار عظمته، فقد ورد في الأثر عن

سيد البشر: «أن العبد إذا توجه للصلاة قام إلى يمينه ملك، وإلى شماله شيطان يقول: "اذكر كذا، وكذا، واغرم علي كذا، وكذا"، والملك يقول: "أقبل بقلبك إلى ربك" فيكتب له من صلاته ما حضر قلبه فيه، فقد ينصرف وله من صلاته كلها نصفها، ثلثها، ربعها، إلى عشرها، فإذا انصرف قال له الملك: "لو أطعتني لكان كذا، أو كذا"».

هذا معنى الخبر لا لفظه، وفي الأثر عنه ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحظرها العبد قلبه».

استشعار معاني ألفاظ التوجه

فينبغي إذا قام للتوجه للصلاة أن يستفتح التوجه بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، الذي يتسلط حال الصلاة، كما ذكرنا، فيقول: «**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم**» ثم يقدم على نية الصلاة، والدخول فيها، مقدمة بنية بها نفسه على عظمة من يريد مخاطبته، والتقرب إليه، ليدخل فيها، وقد استجمع خاطره لذلك، فيقول منبهاً لنفسه: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض**» أي صرفت وجهي للجهة التي أُمرت بالتوجه إليها، حال أداء هذه العبادة، وجعلت توجهي إليها تعبداً للذي ابتدع خلق السماوات والأرض، فرفع سموك السماوات، كما أرى، وسطح الأرض قراراً للورى،

وفعلت هذا التوجه في حال كوني «**حنيفاً**»، أي مائلاً بنفسي عن كل دين سوى هذا الدين، «**مسلماً**» مستسلماً منقاداً لأمر رب العالمين، يقصد هذه المعاني عند نطقه بهذه الألفاظ، ثم يقول: «**وما أنا من المشركين**» أي ولست في عبادتي التي أريد أن أؤديها مشركاً فيها أحداً غير فاطر السماوات والأرض، كما أشرك الكافرون غيره، فأنا أبرأ من ذلك، ثم يقول: «**إن صلاتي**» أي عبادتي التي أريد الدخول فيها وكل عبادة تصدر مني، وكذلك «**نسكي**» أي كل تقرب به، وحدوث «**محياي**» أي خروجي من الجمادية إلى الحيوانية، «**ومماتي**»، أي خروجي من بعد الحياة إلى الموت، فإن كل ذلك «**لله رب العالمين**»، أي صلاتي ونسكي حاصل بالقدرة التي خلقها الله فيَّ، ومحياي ومماتي حاصلان بقدرته، فكلها حينئذ لله حاصلة بأقداره واقتداره، لا شريك له في ذلك الأقدار والاقتدار والعلم بأنه المختص بذلك دون غيره، أمرت وتعبدت، «**وأنا من المسلمين**»، أي المستسلمين المنقادين

لذلك الأمر، غير المخالفين لما أمروا به، تفصيل هذه المعاني عند النطق بهذه الألفاظ، ثم يقدم التحميد لله الذي هدى لذلك وأقدره عليه، وينزهه عن مقالة النصارى الذين جعلوا له ولداً، والمشركين الذين جعلوا له شريكاً في الملك، فيقول: «**الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك كما زعم المشركون ولم يكن له ولي**» أي ناصر يحتاج إليه ليتحصن به من الذل، بل هو القاهر لكل قاهر، والقادر على كل قادر، المغني الذي لا يحتاج في حال إلى سواه، يحضر قلبه لقصد هذه المعاني عند النطق بهذه الألفاظ، فإنه لم يُؤمر بها إلا ليستحضر معانيها، فليستحضر عند الإحرام بالصلاة عظمة من يحرم لمخافته والتعبد له، ثم ينوي الصلاة التي يريدها بقلبه، ويقصد بفعلها تعظيم الله والتقرب إليه بامتثال أمره، واتباع نبيه، لما في ذلك من المصلحة في الدين، التي اقتضت وجوبها عليه، فإذا نوى ذلك افتتح الصلاة بأن يقول: «**الله أكبر**»: أي لا إله إلا الذي

فطر السماوات والأرض، أكبر من كل شيء، يكبر في النفوس، والتقيد له أفضل من كل عمل، يرجى نفعه، ويريد في حال التكبير الإحرام، وهو تحريم كل قول وفعل إلا بالتكبير بإذنه ما أمر به من الأذكار والأركان، ويوطن نفسه بعزم صادق على استبقاء تلك الأذكار والأركان على الوجه الذي أمر به، وهو تأدية الذكر تأدية قاصداً معاني ألفاظه، غير مستعجل، وتأدية الذكر كاملاً، لا ينتقل عنه إلى الثاني إلا بعد استكماله وتأدية ذكره بترتيل وقصد لمعانيه، ثم يقصد تأدية الذكر الذي يليه، فقبل أن تبدأ بالقراءة تقصد بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]: الثناء الحسن والثناء الجميل، يختص به رب العالمين.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ٣] المحسن إلى عباده في الدنيا والآخرة، أي المالك للأمر يوم الجزاء، يقصد هذه المعاني عند النطق بهذه الألفاظ، فإذا فرغ من حمده وتعظيمه أقبل على خطابه.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥]: أي لا نعبد غيرك، لما عرفنا أنه لا عظيم مثلك، ولا يدانيك، ثم يقول:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]: أي لا نستعين على تأدية عبادتك إلا بك، يقصد هذا المعنى مع قصد تأدية التلاوة المفروضة في الصلاة، لا مجرد الخطاب، ثم بعد طلب العبادة الإعانة عليها، يطلب من ربه الهداية إلى السبيل التي يرضى سلوكها، فيقول داعياً له مع قصد التلاوة المفروضة:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]: أي أرشدنا الألطاف التي تدعونا إلى طريق رضاك عنا، وهو:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: ٧]: وهم الذين اتبعوا ملة إبراهيم.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: ٧]: وهم اليهود، «ولا» صراط ﴿الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة: ٧] وهم النصارى، ثم ينوي تلاوة الآيات المفروضة بعد قراءة الفاتحة.

[استشعار معاني ألفاظ أذكار الصلاة]

فإذا فرغ من الفاتحة والسورة، نوى أن يطأطئ عنقه للركوع التام، خضوعاً لخالقه، فإذا نوى ذلك كبّر للانتقال إليه، فقال: «**الله أكبر**»: أي الذي أريد الخضوع له أكبر من كل ما يكبر في النفوس، ثم يركع ويطمئن، ويطأ من ظهره، قابضاً على ركبتيه، ثم يأتي بالتسبيح والتعظيم والحمد، فيقول: «**سبحان الله العظيم وبحمده**»: قاصداً بذلك براءة الله من كل سوء، لأجل عظمته، ثم يقول: «**وبحمده**»: أي خضعت لله بأن أتيته بتنزيهه وتعظيمه وبحمده، ثم إذا فعل ذلك ثلاثاً بترتيل وتأمّل للمعاني قصداً للانتقال عنه إلى الاعتدال امتثالاً لأمر الله، ويكون القصد عند الرفع،

فإذا كمل اعتداله دعا إلى الله تعالى أن يتقبل منه ذلك الحمد في ركوعه بأن يقول: «**سمع الله لمن حمده**»: ويقعد [مع الدعاء الذي][1] شرع عليه في الصلاة من التسميع، ثم يقصد الانتقال عن الاعتدال إلى أعظم التذلل لخالقه، وهو وضع وجهه أشرف جسده على الأرض إهانة له في طلب رضاء الله مولاه، فإذا استكمل قصد ذلك كبّر، أي فقال: «**الله أكبر**»: أي الإله الأعظم أكبر من كل [ما] يكبر في النفوس، فيحق له أن أهين له أشرف جسدي بوضعه، وتنكيس رأسي على الأرض، فيكمل قصد ذلك كله قبل أن يهوي للسجود، ثم يسجد مكبراً، فيمكن جبهته على الأرض، ثم يقصد بتسبيحه ما قصده في تسبيح الركوع، خلا أنه يقول هنا: «**الأعلى**»: مطابقة لانخفاضه، لأنه قد انخفض فيه أبلغ ما أمكنه من الانخفاض، يوصف الله بأنه الأعلى أي الذي لا

---

(١) جاء في النسخة هكذا: [مع الدعاء إذا الذي] ولعل الصحيح ما أثبته.

انخفاض لعظمته بل هي أعلى من كل عال، فإذا استكمل الثلاث كما فعل في الركوع نوى الاعتدال امتثالاً، فكبر له كذلك، ثم ينوي تكرار ذلك الخضوع الذي هو أبلغ التعبدات لا أبلغ منه، فيكرره أبلغ ما في وسعه من التذلل، فكبر كذلك، وفعل في سجوده الثاني كما فعل في الأول، ثم ينوي الانتقال إلى القيام لرب العالمين، وكبره أي هو أكبر من كل ما يكبر في النفوس، فيحق له التعبد بالقيام له، وأعاد الركوع والسجود، ثم يفعل في قراءته وركوعه وسجوده في الثانية ما فعل في الأولى، من نية، وذكر، وعمل، وترتيل، وليحذر أن تستعجله النفس والشيطان، فيصرفاه عن استكمال الأذكار والأركان على الوجه الذي فصلناه، فيفوته رضاء الرحمن.

[استشعار معاني ألفاظ التشهد]

ثم إذا أراد القعود للتشهد نوى امتثال المشروع من النطق بهما في تلك الحال، وأراد بقوله: «**بسم الله وبالله**» إنما قد فعل من الصلاة مستعيناً بذكر الله، وبإعانة الله، ثم يقول: «**والحمد لله**» على ذلك، ويقول: «**والأسماء الحسنى**» الجامعة لصفات الكمال، ويريد به التسعة والتسعين، وغيرها من صفات التعظيم، وذلك تتمة للحمد، فيقصد بقوله: «**الحمد لله والأسماء الحسنى كلها لله**» والثناء الحسن والوصف الجميل الذي تضمنته الأسماء الحسنى، كلها مختصة بمن أُديت له هذه العبادة، ثم يختم ذلك التعظيم بأن يريد امتثال ما أمر به من التحية للملائكة والصلاة

على نبيئه، فيقول: «**التحيات لله**» وهي السلام، فهو السلام، ومنه السلام، «**والصلوات**»: هي الرحمة والإحسان، «**والطيبات**» من النعم الدنيوية لله أيضاً حاصلة من تفضله، ثم يختم ذلك بأن يقول: «**أشهد أن لا إله**» لا تحق هذه العبادة «**إلا**» لهذا الإله المعهود، وهو «**الله وحده لا شريك له**» ثم يشهد أن «**محمداً عبده ورسوله**» إلى عباده، بالشرائع الواجبة والمندوبة والمباحة والمكروهة، ثم يقصد الانتقال إلى مكافأة الرسول عن إحسانه، ليصدّره للإرشاد لعباده، فيقول: «**اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد**» أي أكرمهم بأفضل ما تكرم به أوليائك «**وبارك على محمد وعلى آل محمد**» أي وذكر منك لهم تامة نامية مستمرة، «**كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**» حيث جعلتهم ولهم لسان صدق في الآخرين «**إنك حميد**» أي محمود على كل نعمة حاصلة في الدنيا والآخرة، فأنت في التحقيق المتفضل بها أو بعضها

بفعلك وبعضها للتمليك، وإنه «**مجيـــــد**» أي فاعل موجبات الحمد لك، والوصف بالمجد وهو العز والسلطان، ثم يريد الخروج من تلك العبادة بالتسليم على من أمرنا بالتسليم عليه من الملائكة والمؤمنين الداخلين معه في صلاة الجماعة إن كانت، وإلا فعلى الملائكة لا غيرهم.

فإذا أدى المصلي صلاته قاصداً بأذكارها ما ذكرناه وفصلناه، فنحن الضمناء على الله تعالى بقبولها، وكمال الإثابة عليها، وحصول المقصود بها، وهو انزجارك عن ارتكاب المعاصي، كما قال تبارك وتعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾(العنكبوت: ٤٥) وهو هذه الصلاة المؤدّاة على هذا الوجه أكبر في الزجر عن الفحشاء من نهي الناهين وزجر الزاجرين، أي أكبر تأثيراً في الإنزجار عن المعاصي.

[أذكار الصلاة]

فإذا فرغ من صلاته أردفها بأربعة أذكار.

الأول: السلام عليكم أيها الملائكة المقربون، السلام منك أيها الملك الجليل، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون.

الثاني: أن يقول: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...﴾[الروم: ١٧] إلى آخر الآية، إلى: ﴿..وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ فقد ورد أنها المقصودة في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[النجم: ٣٧] أي وفّى صلاته بأن ختمها بهذه.

الثالث: يقول عقيبها: بسم الله، وتوكلت على الله،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يقول ثلاث مرات، كما ورد في بعض الأخبار: «بسم التواب».

الرابع: استحسناه نحن عقيب ذلك كله، وهو أن يقول في دبر كل مفروضة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه من كل ذنب أسلفته قبل هذا المقام في قولي، أو عملي، أو اعتقادي، أو نيتي، ليكون في ذلك تطهرة بالتوبة، لينصرف عن تلك الصلاة طاهراً من الذنوب، ومصداقاً لقوله ﷺ: «إن الصلاة كالنهر الجاري على باب أحدكم يتطهر به كل يوم وليلة خمس مرات»..

تم ذلك والحمد لله رب العالمين..





الفهرس



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

مؤسسة غير ربحية، معنية بتعريف الأمة الإسلامية بفكر أئمة أهل البيت(ع) لأهمية دوره في تحقيق وحدة الأمة ونهضتها وفي علاقة العبد بالله تعالى



ص. ب. ١٥١٣٤، تلفون: (٢٠٥٧٧٧ - ٠٠٩٦٧١)
فاكس: (٢٠٥٧٧١ - ٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية
Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org